تفسير ابن كثير

تفسير ابن كثير | شرح الشيخ عبدالرحمن العجلان | 41- سورة النحل | من الأية 211 إلى 311

عبدالرحمن العجلان

الصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى اله وصحبه اجمعين وبعد اعوذ بالله من الشيطان الرجيم وضرب الله مثلا قرية كانت امنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان وغدا من كل مكان فكفرت بانعم الله - 00:00:00

هذا الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون ولقد جاءهم رسول منهم فكذبوه اخذهم العذاب وهم ظالمون هذا مثل فرضه الله جل وعلا لعباده للموعظة والذكرى لمن وفق للانتباه والتذكر - 00:00:31

لان لا يصيبه ما اصاب من اغتر وكفر بنعمة الله جل وعلا يقول الله تعالى وضرب الله مثلا قرية كانت امنة مطمئنة فرض الله ظرب مضمن معنى جهل ونصب مفعولين - 00:01:12

المفعول الاول قرية المتأخر والمفعول الثاني مثلا ضرب الله مثلا قرية قرية المفعول الاول ومثلا المفعول الثاني واخر المفعول الاول عن المفعول الثاني لتقع صفاته بعده مباشرة قرية كانت امنة مطمئنة - 00:01:48

وما المراد بهذه القرية ها هي قرية معينة ام هي اي قرية وقع عليها هذا الوصف للمفسرين رحمهم الله القول الاول والذي عليه جمهور المفسرين ان المراد بالقرية مكة وعلى هذا جمهور المفسرين - 00:02:25

والاية الثانية تعزز ذلك ولقد جاءهم رسول منهم فكذبوه فاخذهم العذاب وهم ظالمون القول الثاني ان المراد بهذه القرية اي قرية انطبق عليها هذا الوصف فليست قرية معينة وينطبق على مكة وعلى غيرها ممن اتصف بهذه الصفات - 00:03:04

وهذا كما قال بعض المفسرين ابلغ الانذار الا يكون المراد مكانا واحدا معينا. وانما المراد كل قرية اتصفت بهذه الصفات وحتى لو كان المراد بها مكة العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب - 00:03:38

ففيها عظة وتذكير لكل من انعم عليه بنعمة فلم يصرفها في طاعة الله وانما استعان بها في معصية الله ومن قال من المفسرين ان المراد بها مكة وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم - 00:04:09

لما دعاهم الى الله ان يستجيبوا واذوه وعذبوه وعذبوا اصحابه رضوان الله عليهم واضطروهم الى الخروج من مكة اولا من مكة الى الحبشة الخروج من مكة الى المدينة للهجرة وهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم - 00:04:39

من مكة الى المدينة ومكة احب البقاع اليه صلوات الله وسلامه عليه فلما خرج من مكة توجه اليها وهو في طريقه الى المدينة فقال انك والله لاحب البقاع الى الله - 00:05:08

واحب البقاع الي ولولا اني اخرجت منك ما خرجت وخرج صلى الله عليه وسلم يبحث عن انصار ينصرونه ليعلي كلمة الله وليدعو الى الله جل وعلا فخرج من احب البقاع اليه - 00:05:30

وتوجه الى المدينة حيث النصرة والانصار هناك رضي الله عنهم وارضاهم وهكذا ينبغي لكل مسلم اذا لم يستطع اظهار دينه في مكانه ويهاجر الى المكان الذي يجد فيه انصارا واعوانا على الحق - 00:05:57

سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج صلى الله عليه وسلم من مكة مهاجرا الى المدينة بعد ان اقام بمكة ثلاث عشرة سنة يدعو الى التوحيد وخرج معه من اسلم - 00:06:28

قبله وبعده ومعه رضوان الله عليهم فدعا صلى الله عليه وسلم على اهل مكة قائلا اللهم اجعلها عليهم سنين كسني يوسف او اشد

اللهم اشدد على مضر فاستجاب الله له - 00:06:49
دعاءه وقحطت البلاد واصابتهم سنة عظيمة شديدة اكلوا معها العظام واكلوا معها الوبر مغموسا بالدم من شدة الجوع منع الله عنهم المطر من السماء وامتنعت القبائل قبائل العرب من ان تجلب الى مكة طعاما - 00:07:14
استجابة لنداء رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعوته فاشتدت الوطأة عليهم وجاعوا جوعا شديدا فذلك المثل الذي ضربه الله جل وعلا لكل من اتصف بهذه الصفة يقول الله تعالى وضرب الله مثلا قرية كانت امنة مطمئنة - 00:07:49
يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بانعم الله فاذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون قرية كانت امنة لا تخاف يخاف الناس من حولهم ويتخطف الناس من حولهم وهم امنون - 00:08:18
يلقى الرجل الرجل في الجاهلية الذي قتل اباه او قتل اخاه يلقاه في مكة فلا يتعرض له بسوء الطير آمن في مكة الوحش امن في مكة والظبع وغيرها من من الوحوش تعمل في مكة لا يتعرض لها بسوء - 00:08:42
قرية امنة يعني اهلها امنون مطمئنة غير منزعجة فيها الطمأنينة لا يخاف المرء فيها يأتيها رزقها رغدا من كل مكان الرزق كثير يجلب اليها من كل مكان يأتيها الرزق من كل مكان - 00:09:16
من جميع الاقطار من خيراتها ترسلها الى مكة لينعم اهلها بهذه الخيرات اكراما من الله جل وعلا لبيته ولمجاوريه يأتيها رزقها رغدا يعني كثيرا وفيرة ميسرة يجلب اليهم خيرات العالم - 00:09:58
من كل مكان لا من جهة واحدة ولا منها فقط واننا من جميع الجهات يأتي الرزق فكفرت بانعم الله كفرت جحدت وانكرت نعمة الله جل وعلا واعظم نعمة اعطوها بعثة محمد صلى الله عليه وسلم - 00:10:31
فيهم ومن بينهم يعرفونه يعرفون نسبه يعرفون نشأته يعرفون صدقه وصلاحه واستقامته منذ نعومة اظفاره كان يلقب عليه الصلاة والسلام بالصادق الامين منذ عرف وهو لا يكذب منذ عرف وهو لا يخون - 00:11:05
وهو صادق وامين عليه الصلاة والسلام ومثل هذا الصادق الامين يتعامل بالصدق دائما وابدا مع الخلق فلا يليق به ان يكذب على الخالق جل وعلا صلوات الله وسلامه عليه لو جاءهم من بعيد - 00:11:35
لاحتمل الصدق والكذب ما يعرفونه فيكون منه على حذر لكنه نشأ منهم ومن بينهم ولم يقل ما قال عن الله الا بعد ما بلغ اربعين سنة منتهى العقل والادراك والحكمة - 00:11:59
صلوات الله وسلامه عليه فليس صغيرا يستكثر منه ان يقول ذلك ولا كبيرا يقال مخرفا ونسي نعم الله جل وعلا عليهم عظيمة بهذه الخيرات واكملها واعظمها بعثة محمد صلى الله عليه وسلم - 00:12:31
فكان الاجدر بهم والاحرى من يحمد الله جل وعلا على نعمه ويشكروه على ذلك ويسارع في متابعة محمد صلى الله عليه وسلم ويكون اولى الناس بالمتابعة والنصرة والتأييد لان عزه - 00:13:08
عز لهم وظهوره ظهور لهم وعلو شأنه علو شأن لهم فالخير لهم بمتابعته صلى الله عليه وسلم ونصرته وتأييده لكنهم قابلوا ذلك بالعكس احدوا نعمة الله واذوا رسول الله وكذبوه - 00:13:35
وطردوه من بلاده التي نشأ فيها صلوات الله وسلامه عليه وانعم جمع نعمة كفرت بانعم الله الم تكن نعمة واحدة وانما نعم عظيمة فاذاقها الله لباس الجوع والخوف ابدل النعمتين العظيمتين السابقتين - 00:14:09
بظدهما فاذاقها الله لباس الجوع مقابل الرغد رغد العيش والخوف مقابل الامن والاطمئنان اذاقها الله لباس الجوع والخوف جعل الله جل وعلا الجوع والخوف بمثابة اللباس الذي عم البدن وذلك ان الجوع - 00:14:48
والخوف يظهر اثره على عموم البدن في سحابة الجسم ونحالته وظعفه وظهور المهانة عليه والذلة وكأنه لباس من رأسه الى قدميه والجوع الى اصاب المرء اتعب عموم بدنه ولم يكن الاتعاب من الجوع للامعاء والمعدة فقط - 00:15:24
وانما لعموم البدن وكأن الجوع لباس لبسوه. والخوف لباس لبثوه وهما بليتان عظيمتان مقابل نعمتين عظيمتين اعطوهما نعمة عظيمة نعمة الرغد وتكتمل بالاطمئنان والامن فلو ارغد المرء بدون اطمئنان لاصبح - 00:15:57

خائفا منزعجا لا يرتاح لما هو فيه من النعمة ووفر الله جل وعلا لهما هاتين النعمتين فلما كفرت هذه القرية بانعم الله سلبها النعمتين وابدلها بظدهما جوع وخوف فاذاقها الله لباس الجوع والخوف - 00:16:35
بما كانوا يصنعون بسبب صنيعهم ما ظلمهم الله جل وعلا شيئا ولكنهم ظلموا انفسهم بصنيعهم السيء الى كلمة التوحيد واستنكروا ذلك ايما استنكار قالوا اجعل الالهة الها واحدا؟ ان هذا لشيء عجاب - 00:17:06
ومن ينفع الا الله وحده لا شريك له وهل تنفع الالهة اصنام اشجار واحجار جمادات عجينة من البر او عجينة من التمر يعبدها المرء فاذا جاع اكلها اين العقول ميت - 00:17:40
لا ينفع ولا يضر ولا يدري من حوله يسأل ويدعى ويتضرع اليه ويطاف بقبره اين العقول يترك المرء عبادة ربه الخالق الرازق المحيي المميت المتصرف في الكون الذي يرى ويسمع دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في ظلمة الليل - 00:18:09
الذي يتلطف مع عباده بقوله واذا سألك عبادي عني فاني قريب اجيب دعوة الداعي اذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون الذي يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه - 00:18:45
ونحن اقرب اليه من حبل الوريد ولذا كان اظلم الظلم هو دعوة غير الله لان الدعاء لله وحده لا شريك له فاذا صرفه المرء لغيره وقد اتصف باظلم الظلم وابشعه - 00:19:10
يصرف حق الله لغيره صرف حق المخلوق لمخلوق اخر ظلم وابشع منه واشد صرف حق الله جل وعلا لغيره ممن لا ينفع ولا يضر ولا يسمع ولا يرى ماذا وقع الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون بسبب صنيعهم السيء - 00:19:36
وهذا مثل ضربه الله جل وعلا لعباده ليتدبروا ويتأملوا ويستعينوا بنعم الله جل وعلا على عبادته وطاعته والا الله جل وعلا بالمرصاد يمهل ولا يهمل والشواهد على هذا كثيرة جدا - 00:20:11
ينعم الله جل وعلا على اهل البلاد بنعم عظيمة خيرات جزيلة السلام عليكم وامن واستقرار وتوفر المعيشة ثم ينهمك اهلها في المعاصي فيمهلهم الله جل وعلا لعلهم يتعظون لعلهم يرجعون - 00:20:40
لعلهم يسمعون لدعوة الحق لعلهم يستجيبون لعقلائهم فاذا لم يستجيبوا ولم يرعوا اخذهم الله جل وعلا اخذ عزيز مقتدر جعل بأسهم بينهم صارت الحروب بينهم صار الخوف والوجل صار المرء - 00:21:10
يخشى اذا تكلم من ابنه من زوجته تتجسس عليه تنقل كلامه المرء يخاف من اخيه لا يطمئن اليه المدافع والقنابل بين يديه ومن خلفه الخوف والرعب ما سبب ذلك هو معصية الله جل وعلا - 00:21:44
ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم لا يغير ما بقوم من الامن والاستقرار والرخاء وطمأنينة العيش الا اذا غيروا اذا غيروا اقبلوا على المعاصي وتركوا طاعة الله - 00:22:17
غير الله عليهم لا يغير ما بقوم اذا كانوا على معاصي وفجور عن الله لا يغير الله ما بهم من الشقا والبؤس ونكد العيش الا اذا غيروا ما بانفسهم من الرجوع الى الله جل وعلا والتوبة والندم - 00:22:43
والله جل وعلا يغار اذا انتهكت محارمه والعبر كثيرة والمواعظ زاجرة ومن حولنا وعن يميننا وعن شمالنا الله الله في طاعة الله جل وعلا والحذر من معصيته والحذر كل الحذر من استعمال نعمة الله جل وعلا في معصيته - 00:23:11
والحذر من كفر النعمة والاستهانة بها واحتقارها والحذر من التثاقل عن طاعة الله جل وعلا فاذا استمر العباد في طاعتهم لله جل وعلا استمر الخير لهم والنعم متوفرة واذا اعرضوا عن طاعة الله جل وعلا سلبها تعالى - 00:23:47
يسلب نعمه ويصرفها الى من يستحقها من عباده والنعم تدوم بالشكر وتنفر بالكفر والله جل وعلا يقول واذ تأذن ربكم لئن شكرتم لازيدنكم ولئن كفرتم ان عذابي لشديد والكفر يكون - 00:24:26
للكفر الاكبر الذي هو عبادة غير الله ويكون بكفر النعمة ويسلبها الله جل وعلا وان لم يكفر عبده به. اذا كفر نعمته فليس بها فليس المقصود بهذا المثل مكة وحدها في ذلك الوقت - 00:25:06
حينما كفرت بنعمة الله فسلط الله عليهم الجوع والخوف الجوع بان اكلوا الشعر والصوف والوبر المغموس بالدم من الجوع والعياذ

بالله واكلوا العظام والخوف من النبي صلى الله عليه وسلم ومن جيوشه وسراياه - 00:25:29
كانوا غير مطمئنين وغير امنين لانهم عرفوا ان الله اعز رسوله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وجعل الخوف والذلة والصغار على من خالف امره كما قال صلى الله عليه وسلم - 00:26:04
نصرت بالرعب مسيرة شهر من كان بينه وبين النبي صلى الله عليه وسلم مسيرة شهر من الزمان فهو مرعوب خائف من النبي صلى الله عليه وسلم ومن معه من المؤمنين - 00:26:30
وابدل الله جل وعلا المؤمنين عما كانوا فيه من الخوف من الكفار بان جعل لهم الامن والاستقرار والطمأنينة في دار الهجرة في المدينة وابدلهم بالجوع الذي اصابهم في مكة العيش - 00:26:53
والخيرات والغنائم التي احلها لهم ولم يحلها لمن قبلهم والله جل وعلا ناصر اولياءه خادم اعداءه كما قال تعالى انا لننصر رسلنا والذين امنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد. ينصرهم الله جل وعلا - 00:27:18
الدنيا وينصرهم يوم القيامة ولقد جاءهم رسول منهم فكذبوه فاخذهم العذاب وهم ظالمون من هذه النعم التي جعلت بين ايديهم بان ارسل الله جل وعلا اليهم محمدا صلى الله عليه وسلم - 00:27:47
رسولا منهم يعرفونه فكذبوه لو كان من غيرهم وكذبوه لربما كان لهم شيء من العذر حتى يطمئنوا اليه ويعرفوا حاله. لكنه منهم يأمنونه ويصدقونه ولم يجربوا عليه كذبا ولا خيانة - 00:28:14
وكان صلى الله عليه وسلم اكمل الخلق بكل صفة ممكن ان يتصف بها مخلوق الصدق والامانة والكرم والشجاعة والعطف والرحمة وغير ذلك من صفات الكمال التي يتصف بها المخلوق ولقد جاءهم رسول منهم - 00:28:40
ولعل التنكير هنا للتعظيم وتعظيم شأنه صلى الله عليه وسلم رسول منهم فكذبوه رتب على مجيئه وكونه منهم ان كذبوه ولم يقبلوا منه وكان المفروض ان يسارعوا الى تصديقه والاستجابة - 00:29:10
فاخذهم العذاب سلط الله عليهم العذاب عذاب الدنيا بالجوع والخوف والقتل يوم بدر والهزيمة في المعارك وهم ظالمون. والحال انهم ظالمون وليسوا مظلومين حينما عذبهم الله جل وعلا في الدنيا - 00:29:35
هم ظالمون لانفسهم وظالمون لغيرهم بصدهم اياهم عن طاعة الله لان الكبراء منهم مبتدأ وخبر والجملة حال حينما جاءهم العذاب اليسوا مظلومين؟ وانما هم عالمون لانفسهم وظالمون لغيرهم بصدهم عن طاعة الله - 00:30:09
وهذا مآل كل من اعرض عن طاعة الله جل وعلا ووقف في سبيل الدعوة الى الله فان الله جل وعلا يمهله فاذا اخذه اخذه اخذ عزيز مقتدر وقد يمهله في الدنيا لحكمة - 00:30:41
يريدها الله جل وعلا لان الظالم لا يفلت من يد الله جل وعلا وطبيعة المخلوق انه يسارع يحاول السرعة في الانتقام من اجل ان لا يفلت منه عدوه واما الله جل وعلا فهو لا يفلت من قبضته احد - 00:31:10
تأمل المخلوق اذا احب الانتقام احب احب المسارعة لان لا يفلت من يده لانه يفوته واما الله جل وعلا فهو لا يفوته شيء ولا يفلت احد من قبضته الخلق بين يديه - 00:31:37
يتصرف فيهم كيف يشاء جل وعلا لا يعجزونه لا يستطيعون الهروب عنه لا في السماء ولا في الارض بين يديه دائما وابدا كثير منا يستنطق العذاب ونزوله على الظالمين المعتدين المؤذين لعباد الله جل وعلا - 00:32:08
وهذه طبيعة ابن ادم لكن الله جل وعلا يمهل ولا يهمل لا يعجل بالعقوبة لحكم عظيمة ان كان قد اراد الله له الهداية فلعله ان يرجع ويتوب ويندم فيتوب الله جل وعلا عليه - 00:32:40
وان لم يرد الله له الهداية ويمهله لحكمة ثم يأخذه اخذ عزيز مقتدر الحذر الحذر من الوقوع في معصية الله الحذر الحذر من استبطاء العذاب والامن من مكر الله فيكون المؤمن على حذر دائما وابدا - 00:33:04
ويدعو الله جل وعلا يسأله الثبات والاستقامة على الحق كما كان النبي صلى الله عليه وسلم كثيرا ما يدعو اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك او كما قال صلى الله عليه وسلم - 00:33:34

ولاحظت هذا منه عائشة رضي الله عنها فقالت اوتخشى يا رسول الله خليل الله وحبيبه صلوات الله وسلامه عليه يشرع لامته قال يا عائشة اما علمت ان قلوب العباد بين اصبعين من اصابع الرحمن - 00:33:54

ويسأل العبد ربه النجاة من الفتن ومن مظلات الفتن وان يقع في الظلم او يصدر منه شيء من ذلك فيقول اللهم اني اعوذ بك من مظلات الفتن اللهم اني اعوذ بك ان اضل او اضل او ازل او ازل او اظلم او اظلم - 00:34:17

او اجهل او يجهل علي يلح على الله جل وعلا بالدعاء والله جل وعلا قريب من عباده احب ان يلح عليه الله يغضب ان تركت سؤاله وبني ادم حين يسأل يغضب - 00:34:49

يأمر عباده بدعائه والتضرع اليه وسؤاله وبالتجائي اليه ويستجيب لعبده ما لم تيأس فاذا يئس والعياذ بالله حرم الاجابة واليأس كان يقول دعوت ودعوت فلم ارى يستجب لي فيكثر من الدعاء والتضرع الى الله جل وعلا وهو موقن بالاجابة - 00:35:13

ادعوا الله وانتم موقنون بالاجابة واجابة الله جل وعلا لعباده اما ان يعجل لهم ما دعوا به واما ان يدفع عنهم من السوء افضل مما دعوا به واما ان يدخر لهم في الدار الاخرة ما هو خير لهم مما دعوا به - 00:36:00

قال الصحابة رضوان الله عليهم اذا نكثر قال عليه الصلاة والسلام الله اكثر كلما اكثرت في الدعاء اكثر الله عليك الاجابة والعطاء والله اعلم وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد - 00:36:27

وعلى اله وصحبه اجمعين - 00:36:47